

العلوم الطبيعية في القرآن الكريم Natural Sciences in the Holy Qurān

*الدكتور نور زمان مدني

**الدكتور سيد نعيم بادشاه

Abstract

Qurān has deep relation with science. For Example Qurān teaches us about the creation of the world, human being, all the living and nonliving things and its advantages and disadvantages. Qurān also tells us about the different diseases and its cure. Now in the modern time the scientist are following the Qurān for their scientific research.

There are 13 hundred verses in Qurān belongs to human thoughts. Just like this there are different explanation about the human's health and food and these things are related to science.

The Qurān has presented knowledge about mountains, sea, water, air environment etc.

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

** الأستاذ المشارك بجامعة زرعبة بشاور

In this article it will be proved that Allah has highlighted every aspect of science in Qurān. Therefore it is necessary for human beings to follow the Qurān and make his life as an example for others.

Keywords: Qurān, Relations, Sciences, Description, Human, Life,

Better

لقد إحتوى القرآن الكريم بين دفتيه الكثير من الآيات التي تلفت نظر الإنسان إلى نفسه والكون المحيط به لكي يتأمل ويتفكر في هذا الإبداع الإلهي وهذا الصنع المتقن الدال على قدرته وعظمته الخالق جل شأنه.

وعندما نتحدث عن عمليات التفكير التي أمرنا بها رب العزة والجلالة إنما نقصد بالعمليات التفكيرية كل الأنشطة التي يمارسها المخ بدءاً بالتساؤل. والذي يقود إلى التركيز ورفع مهارات التحليل والنقد والمراجعة، وبالتالي الخروج من صندوق العادات والتقاليد والبيئة، مروراً بال تكرار، والذي تصفه عمليات البرمجة بأنه يزيد من الإفرازات المخية التي تقوي الوصلات العصبية المختصة بعمليات الحفظ و التذكر والاسترجاع. فيقوم بتسريع هذه العمليات إلى سرعات عالية تساعد على سرعة الاستجابة المحكمة لوقائع وأحداث ومجريات الحياة المتغيرة والمتسارعة.

ويكفي للتدليل على مكانة التفكير في كتاب الله أن القرآن نفسه لا تدرك جوانب الاعجاز فيه إلا بالتفكير والتدبر، فهو معجزة عقلية، فقد تكررت الدعوة لتدبر القرآن لإدراك جوانب العجاز فيه، وأنه من عند الله عز وجل.

وموضوعات التفكير في القرآن تراوحت ما بين تعظيم الخالق سبحانه من خلا التفكير في آياته العظيمة، ما بين الكون الشاسع والنفس التي ما بين جنبي الإنسان، والتفكر في حقيقة أمر الرسول عليه السلام، وما جاء به عن ربه من الوحي، والتفكر في حقيقة الدنيا وسرعة زوالها والموت وحقيقة وقوعه، والتفكر في حكم بعض التشريعات خاصة المتعلقة منها بانفعه، والتفكر

في عاقبة من لم ينفعه علمه ونكص على عقبيه بعد اذ هداه الله تعالى، والتفكر في عظم القرآن وعظم آثاره.

قد إشتمل هذا البحث على تمهيدٍ و نماذج للآيات الكونية في القرآن الكريم، تناولت في التمهيد علاقة القرآن الكريم بالعلوم الطبيعية.

أما بالنسبة إلى نماذج للآيات الكونية في القرآن فذكرت تحتها ستة نماذج للآيات الكونية، وهي تفسير "البحر المسجور، معنى "وأنا لموسعون"، القرآن وتركيب النمل وتكوين العظام، علم الذرة في القرآن، تفسير آيات الليل والنهار، ظاهرة السبائك في القرآن الكريم.

علاقة القرآن بالعلوم الطبيعية

الشواهد القرآنية والتي تلفت العقل البشري إلى التفكير فيما حوله، والوصول إلى إستنتاجات تتواءم فطرته السليمة، لهو دليل قاطع على أن صلة القرآن الكريم بالتفكير والعلوم الطبيعية صلة وثيقة، بل إن حافظ القرآن والمتأمل فيه ينمو لديه التفكير كلما قلب بصره وتمعن فيما حوله .

نحن الآن في عصر تقدمت فيه الفتوح العلمية تقدما مدهشا، ففي كل يوم جديد طريف تحمله إنتصارات العقل البشري، فتسير به الصحف اليومية مادحة والمجلات العلمية شارحة، وقد تطوع رهط من أولى العلم والثقافة، فأخذوا يدرسون آيات الكتاب الكونية دراسة هادية، ويحاولون أن يستشفوا من خلالها أقباسا وضيئة، تشير إلى ماجد من مخترع واستحدث من مستكشف.

يقول الدكتور سعيد اسماعيل:

"في آيات متعددة يشير القرآن إلى أن الله سخر للإنسان هذا الكون البديع ويحث الإنسان على دراسة الكون واستكناه أسرارهِ والتأمل في نظامه، ليستفيد الإنسان منه ويستخدمه لصالحه في المعاش الدنيوي والمعاد الآخروي".¹

كلمة التسخير من أقوى التعابير في الدلالة على الخدمة المستمرة الدائبة، ويستعمل القرآن أحيانا كلمة خلق، وجعل، وأنزل، لتعدد ألوان النعم العديدة التي أوجدها الله للإنسان في هذا الكون، والمتأمل في آيات القرآن الكونية يلحظ تنوع أسلوبها، فأحيانا تستلفت النظر إلى آثار قدرة الله، وأحيانا تعدد نعم الله على الإنسان في هذا الكون البديع. الآيات الكونية في مجموعها نداء

جهر للناس أن إفتحوا عيونكم وأيقظوا أفئدتكم، وتأملوا مليا في خلق الله لكم وفي تركيب أجسامكم.²

ويقول الغمراوي:

"أنه مهما يكشف العلم في عصرالفضاء من حياة الكواكب فهو إنما يحقق معجزة علمية للقرآن، تتجدد بها الحججة وتزداد الأدلة بها دليلا على أن القرآن من عندالله³ .

ويضرب الغمراوي مثلا للحقيقة الكونية يصرح بها القرآن، حين يؤمن على الناس أن يفتنوا بها إذ يمكنهم صرف عباراتها إلى ظاهرة كونية أخرى، والمثل هو قوله تعالى: " وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا " ⁴ . ليل السماء، في سورة النازعات التي يقيم الله فيها الحججة على منكري البعث بالأجساد، والمفسرون جميعا القدامى منهم والمحدثون أغفلوا دلالة مرجع الضمير المضاف اليه الليل وصرّفوه الى ليل أرض مع رجوعه صراحة إلى السماء ن فلو أنهم أخذوا بظواهر الآية كما كان ينبغي لقالوا إن للسماء ليلا غير ليل الأرض وإن لم يعرفوه، وهذا وحده سبق إجمالي إلى حقيقة لم يعرف العلم تفصيلها إلا حديثا، عرفها نظريا إستنباطا من أن الضوء لايرى، وأن ليس فوق جو الأرض ما يعكبه لخلوه من الهواء ما يحمل، فلا بد أن تكون السماء فيما بعد جوالأرض مظلمة حالكة، والأرض في اشراق وضياء بالنهار، ومن باب أولى تكون السماء في ليل حالك، والأرض قليلة (من الليل) أي أن السماء في ليل متصل، ونهارالقمر إنما يكون على سطحه ويكون الظل على القمر كقطع الليل المظلم، وسمائه تكون أشد ظلما لخلو جوه من الهواء.

ثم جاء عصر سفن الفضاء، وصعود الإنسان إلى القمر وتصويرالفضاء من سطح القمر فرأى الإنسان ذلك بعينه، وقد نشرت الصحف صورا للأرض من القمر أرسلتها السفن الفضائية وفيها الأرض كوكب مضيئ في سماء سوداء حالكة هي سماء القمر، وظلمة ليل السماء يكفي في الدلالة عليها كلمة " ليل " وأما شدة تلك الظلمة فقد دل عليه الفعل "أغطش" فلو كان يعني عنه الفعل " أظلم " الذي فسره به المفسرون لتزل القرآن به لأنه آنس وأوضح⁵ .

وينبغي أن لاننسى حقيقة في غاية الأهمية وهي أن العلماء المسلمين قاموا بدورهم المشرف حينما إستجابوا لدعوة القرآن الكريم فازدهرت عصور حضارة الإسلام، بما توصلوا اليه من حقائق كونية وموكبة للحركة العلمية الإنسانية، وإبتكارهم للمنهج العلمي الذي يعد من من أعظم إنجازات علماء المسلمين، فأفادوا النهضة العلمية المعاصرة التي توصلت من خلال المنهج التجريبي، إلى كشف الكثير من حقائق الكون التي أشار إليها قرآننا الكريم، فأصبحت إستجابتهم

للقرآن الكريم سببا مباشرا في إكتشاف هذه الحقائق بما قدموه من إنجازات علمية كانت ومازالت بمثابة المرتكزات التي قامت عليها النهضة الحديثة في إكتشاف أسرار الكون المبهمة⁶.

الآيات الكونية في القرآن.

إن الآيات الكونية في القرآن تقرب ما حوالي ثلاثمائة وألف، وهذا العدد الهائل من الآيات يجعلنا مكلفين أن نتفكر فيها، ونعمل العقل لنصل الى الله .

وآيات الله الكونية وسننه والتي هي مجال التفكير والتفكير، يمتد لبيدأ من المجرات، و الكواكب، والمذنبات، والأبراج، والسماء، والأرض، وما فيها من جبال، وأنهار، وأسماك، وأطيوار وأنواع لاتحصى من النباتات⁷.

إن المفسرين القدامى قد يذكرون في الآيات أقوالا متعددة، ويرجعون أحد هذه الأقوال، فاذا تأملنا هذه الأقوال في ضوء الإكتشافات العلمية وجدنا أن القول الراجح هو قول آخر أورده المفسرون ولم يرجحوه لسبب من الأسباب، بل رجحوا غيره وبناء عليه، فالإكتشافات العلمية ترجح قولاً غير الذي رجحه جمهور المفسرين.

مثال ذلك: تفسير " البحر المسجور " في قوله سبحانه وتعالى: **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**⁸.

أ- أقوال المفسرين :

أورد المفسرون في معنى المسجور أقوالا كثيرة :

- 1- أن المسجور بمعنى الموقد، وهو مروى عن على بن أبي طالب عليه السلام ومجاهد وشمر بن عطية.
- 2- أنه المملوء، وهو مروى عن قتادة والحسن.
- 3- أنه اليابس، الذي ذهب ماءه، وهو مروى عن ابن عباس .
- 4- المسجور: المحبوس.
- 5- إنه المختلط عذبه بملحه، ذكره ابن الجوزي عن الربيع بن أنس.
- 6- البحر الفارغ، وهو مروى عن ابن عباس.
- 7- الممنوع المكفوف عن الأرض لثلا يغمرها فيغرق أهلها، وهو قول السدي ورواية عن ابن عباس. والقول الراجح عند الطبري رحمه الله: أنه المملوء.

ب- ما دلت عليه الإكتشافات العلمية:

أما الإكتشافات العلمية فقد دلت على أحد هذه المعاني، وهو أن الأرض التي نعيش على ظهرها، لها غلاف صخري خارجي، وهو ممزق بشبكة هائلة من الصدوع لمئات من الكيلومترات طولاً وعرضاً بعمق يتراوح بين 65-150 كيلومتر طولاً عرضاً.

ومن هذه الصدوع تندفع الصهارة الصخرية ذات الدرجات العالية التنتسجربالبحر، فلا الماء على كثرته يستطيع أن يطفئ جذوة هذه الحرارة الملتبهة، ولا هذه الصهارة على إرتفاع درجة حرارتها (أكثر من الف درجة مئوية) قادرة أن ابخر هذا الماء. واكتشفوا أن البراكين في قاع المحيطات أكثر عددا، وأعنف نشاطا من البراكين على سطح اليابسة.

وذكر العلماء أنه نظرا لعدم وجود الأكسجين في قاع البحر، فإن الحمم البركانية تكون شديدة الحرارة، ودون اشتعال مباشرة، ولا يوجد كلمة يمكن أن تحل محل وصف المسجور.

ج- الخلاصة:

عند تأمل الأقوال التي ذكرها المفسرون نجد أن العلم الحديث قد بين لنا رجحان أحدا لأقوال التي ذكرها المفسرون، ولكنهم لم يرجحوه، ومن خلال الإكتشافات العلمية تبين لنا ترجيح قول آخر غيرالذي رجحه المفسرون.

فمن خلال إستعراض أقوال المفسرين القدامى وأقوال العلماء المعاصرين زال الإشكال الذي ورد على المعنى اللغوي الذقيق، وهو كون البحر غيرموقد في نظرهم، فثبت اتقاده، وثبت امكانية اجتماع الماء مع النار بهذا الإكتشاف⁹.

ونذكر مثلا آخر لتوضيح الترابط الوثيق بين القرآن والعلوم الطبيعية وأن الحافظ للقرآن اذا تلاه بتفكر ووعي فإنه سيساعده في الفهم السريع للموضوعات المتعلقة بالعلوم الطبيعية.

قال الله تعالى: " وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ"¹⁰، يبدو أن الآية تتركز على قوله تعالى (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) فما معنى ذلك؟ وما معنى التوسيع؟ وفي أي مجال؟

قال القرطبي: (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قال ابن عباس: لقادرون، وقيل: وإنا لنوسعها وبخلقها وخلق غيرها لايضيق علينا شئ نريده. وقيل: أي وانا لموسعون الرزق على خلقنا، عن ابن عباس أيضا: وإنا لمطيقون، وعنه أيضا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر، وقال الضحاك: أغنيناكم، دليله على الموسع قدره، وقال القتيبي: ذو سعة على خلقنا، والمعنى متقارب.

قال ابن كثير: وإنا لموسعون: أي وسعنا أرجاءها رفعتها بغير عمد حتى إستقلت.

والذي يبدو لي من قوله: وإنا لموسعون: أنها عائدة على البناء وليس هناك مايدل على أنها عائدة على الرزق أوالقدرة، ويصبح المعنى: والسماة بنيناها بقوة وقدرة وإنا لموسعون في البناء.

ويبدو أيضا أن اللفظ "لموسعون" اسم فاعل، أي فاعلون، واسم الفاعل يدل على حدث ولكن هذا الحدث لا يتعلق بزمان محدد كالماضي في الفعل الماضي والحاضر أو المستقبل في الفعل المضارع أي أن اسم الفاعل يحمل معنى الإستمرارية من بدء الفعل وإلى مستقبل غير محدود. ويصبح المراد من قوله تعالى أن الله يوسع في البناء منذ أن بنى السماء في الماضي إلى الحاضر وإلى زمن غير محدود، وفي هذا إشارة إلى أن هذا الكون في توسيع وتمدد مستمرين، هذا ما أشار إليه النص القرآني، ولكن ماذا عن العلم الحديث؟ نحن نعلم انه اذا سخن جسم فان هذا الجيم يطلق قدرا من الطاقة على شكل ضوء، واذا أسقط هذا الضوء على سطح موثور تفرق الضوء إلى ألوان قوس قزح فاذا كان هذا الجسم المسخن صلباً أو سائلاً أو غازاً تحت ضغط مرتفع فمن الألوان البارزة من الموشور تؤلف طيفا متواصلأ ألوانه من الأحمر إلى البرتقالي فالأصفر فالأخضر فالأزرق فالبنفسجي، أما اذا كان الغاز تحت ضغط منخفض وكان مؤلفاً من عدة عناصر فإن الطيف سيكون مؤلفاً من عدة خطوط منفصلة عن بعضها مختلفة الألوان. فطيف الشمس مثلاً يكون متواصلأ متلوناً، بينما طيف بعض المجرات التي أخذت في مطلع العشرينيات من هذا القرن قد تميزت فيه خطوط كانت مزاحة نحو النهاية الحمراء للطيف، وهذه هي نظرية الانزياح الأحمر، كما هو السبب في هذا الفارق بين طيف الشمس وطيف هذه المجرات؟

لقد قام العالم كريستيان دوبلر بأبحاث بين فيها أن الصوت الذي يصدر عن منبع ضوئي (صفارة القطار مثلاً) تسمعه الأذن بطول موجة أكبر يزداد كبره مع ازدياد سرعة حركة المنبع. وقد دعم العالم الفيزيائي فيزو ظاهرة دوبلر على الضوء والفلك وفسر الانزياح الأحمر في طيف المجرات بإبتعاد تلك المجرات، وهذا يؤكد أن الكون يمتد ويتسع.

وفي عام 1964 صمم هوائي بشكل البوق لإلتقاط الإشارات والخافتة والصادرة عن الأقمار الصناعية، ولقد كان هذا الهوائي يسجل باستمرار إشارات ضجيج كان من الصعب تفسيرها، وبقي التساؤل قائماً عن مصدر هذه الإشارات ماهو؟ إنه باستمرار المراقبة تأكد أن هذه الإشارات لاتصدر عن أجرام سماوية محددة كالكوكب والنجوم والمجرات، وقد ثبت ان مصدر هذه الإشارات هو الفضاء الخارجي الذي تسبح فيه الأجرام والذي يؤكد هذه النتيجة هو أن الإشارات التي التقطها الهوائي بدت وكأنها تتخل الفضاء كما لو أنها سائل لامادي يغمر كل شيء، وهذا يؤكد ان الكون في تمدد وتوسيع مستمرين¹¹.

لقد أشار القرآن الكريم في الكثير من الآيات الى اعجاز الكيمياء، حيث أشار الى أصغر وأهم شئ في الكيمياء الذرة منذ ألف و أربعمائة عام في قوله تعالى في سورة الزلزلة: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ"¹² وكذلك في قوله تعالى: " وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"¹³ هذه وهما قد جاء الوقت والعلماء في هذا العصر يتناولون الآية تبين أن الحديد قد أنزل من السماء، هذه القضية، فمنهم من قال أن الحديد يعتقد انه قد خلق في السماء، والحقيقة ان الكثير من الآيات القرآنية التي تبين الإعجاز العلمي للقرآن في الكيمياء، قال تعالى: " سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"¹⁴.

نذكر بعض جوانب من الكيمياء في القرآن الكريم:

الإعجاز العلمي في تركيب النمل وتكوين عظام الانسان:

قال الدكتور زيد الغزاوي رئيس قسم الهندسة الطبية في الجامعة الهامشية: أنه بتدبره وتفكره المعرفي في آيات وسور القرآن الكريم تمكن من إشتقاق حقائق علمية تبين مدى الإعجاز "يَا أَيُّهَا النَّمْلُ وَالْعَلْمِي، وأضاف الغزاوي أن من ضمن هذه الحقائق ماجاء في سورة النمل: اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" حيث ذكر في هذه الآية أن النمل يتحطم .

وإكتشف العلماء مؤخرا أن جسم النمل مكون من السيليكا وهي المادة الرئيسية المكونة للزجاج وترتيبها في جدول العناصر 27 وسورة النمل هي السورة 27 .

العنصر 57 في الجدول الكيماي. وكذلك فان سورة الحديد رقمها في القرآن 57 وهو

وذكر ان باقي العناصر غير 114 المكتشفة حديثا في عناصر مهجنة يمكن ان تظهر فجأة وتختفي، أما العناصر الدتمة في 114 المعروفة في علم الكيمياء.

وقال الغزاوي انه اثناء دراسته في بريطانيا ولغاية حصوله على شهادة الدكتوراة بحث في شكل

عظم الانسان لتصميم الأطراف الاصطناعية .فتدبر الآية الكريمة في سورة الرحمن: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وقول الله تعالى في سورة التين: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. وعن طريق تجارب علمية ومخبرية تبين ان المادية الفخارية ضعيفة في الشد والطي

وتتحمل أكبر قوة عندماتكون في حالة ضغط وكذلك هو شكل عظم الانسان.

وأضاف انه عن طريق العديد من الآيات الكريمة يمكن تطوير العلم وسمكن وضع منهاج

دراسية جديدة تفيد الطلبة في مختلف مراحل تدريسهم بحيث يتم ربط العلم بالدين.

وأشار الى أنه وجد في أحد تجاربه مع طلبة في الجامعة يعملون على مشاريع التخرج ومن خلال تدبرهم للآية القرآنية: **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا.**

تبين أن ما يناسب النبات يناسب الانسان، حيث قمنا بزراعة (برغى) من عنصر التيتانيوم في جذع شجرة فنما حوله لحاء الخشب. ومن المعروف أن هذا العنصر يتقبله جسم الانسان على عكس الحديد مثلا وفكرنا بوضع عنصر الألمنيوم الذي اكتشف الطلبة أنه يلائم النبات، ونعمل حاليا على إثبات انه يلائم الانسان ويمكن ان يدخل في صناعة الأطراف¹⁵.

علم الذرة في القرآن:

قال تعالى: **"وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"**¹⁶.

كان الاعتقاد سائدا في الماضي أن الذرة هي أصغر شئ وانه لأصغر منها حجما ووزنا، ولكن العلم الحديث أثبت ان الذرة قابلة لتجزئة، وهذا ما نطق به القرآن الكريم قبل العلم الحديث وحقائقها التي توصل اليها الانسان في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. فقد تحقق هذا القول حينما كشف العلماء¹⁷ أن ذرات بعض المواد كالراديوم واليورانيوم تتجزأ من تلقاء نفسها وتخرج منها جسيمات ذرات كهربائية موجبة تسمى (الفا) وجسيمات ذرات كهربائية سالبة تسمى (دلتا وجاما)، مازال العلم يواصل بحثه حتى توصل الى تحطيم الذرة تحطيمها صناعيا عام 1939، وتوصل العالم "هاتن" وآخرين إلى فلق ذرة اليورانيوم الى قسمين كبيرين وأقسام أصغر منها، وهذه النظرية جاء بها القرآن على لسان نبي أمي من أم أمية تعيش في الصحراء¹⁸.

آيات الجبال :

من أروع الآيات القرآنية تلك الآيات التي تشير إلى الجبال، القرآن يتحدث عن الجبال في 49 آية، منها آية الأوتاد التي يقول فيها ربنا تبارك وتعالى: **وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا**¹⁹ . يعجب الإنسان من هذا الوصف القرآني لأننا لو فتحنا أي قاموس علمي أو لغوي أو أية موسوعة من الموسوعات العلمية الحديثة لنبحث عن تعريفها، نجدها تجمع على أن الجبال هي نتوءات على سطح الأرض، يزيد إرتفاعها عن ستمائة متر فوق ما يحيط بها، وان كان البعض يكتفي بماتزيد عن ثلاثمائة متر، لكنهم يجمعون على انها نتوءات على سطح الارض.

بينما القرآن الكريم الذي نزل قبل ألف وأربعمائة سنة يقول عن الجبال انها أوتاد، وكما أن التودت أغلبه مدفون في الأرض ظاهر على السطح ووظيفته التثبيت، فقد أثبت العلم أن هذه حقيقة الجبال، فقد إكتشف العلماء منذ مطلع هذا القرن أن الجبال لها امتدادات اخترق الغلاف الصخري للأرض لتطفو في مادة لزجة عالية الكثافة، عالية اللزوجة، وبحكمها في ذلك قوانين الطفو. فكلما أكلت عوامل التعرية من قمة الجبل يرتفع الجبل الى الأعلى، تماما كجبل الجليد الطافي في ماء الكمحيط، كماصهرت حرارة الشمس جزءا من قمته ترتفع الجبل بقانون الطفو، ويستمر إرتفاع الجبل الصخري حتى يصل سمك جزئه المدفون الى سمك الغلاف الصخري للأرض، وحينئذ يتوقف الجبل عن الحركة وتبدأ عوامل التعرية تأخذ من الجبل حتى تكشف عن أعماقه، فتكشف من الخيرات مالا يمكن ان يتكون إلا في مثل تلك الظروف عالية الضغط، عالية الحرارة مثل الألماس، وقد إكتشف العلماء أن قلوب القارات القديمة هي أعماق جبال قامت عوامل التعرية بيريها حتى ظهرت على ظهر الأرض.

أنظروا إلى دقة التعبير القرآني في وصفه للجبال بأنها أوتاد، كما ان التودت أغلبه مدفون في الأرض، وأقله ظاهر على سطحها نجد الجبال كذلك، الجزء البارز على السطح لايشكل أكثر من 1/1 أو 15/1 من كامل امتداد الجبل، اي ان طول الجزء المندفن بالداخل يتراوح بين 1 أو 15 ضعف الجزء البارز على سطح الأرض، وكما أن وظيفة التودت هي التثبيت فكذلك وظيفة الجبال هي التثبيت، ولكن كيف يتم ذلك؟ تقول أحدث المفاهيم الجيولوجية على ان الغلاف الصخري للأرض ممزق الى عدد من الألواح بشبكة هائلة من الصدوع التي يندفع الحمم البركاني من خلالها فيؤدي الى تحريك تلك الألواح يمينا ويسارا فتتسع قيعان البحار والمحيطات، مع ثبات محيط الأرض، وذلك لأن قيعان البحار تندفع تحت القارات مما يؤدي إلى تكوين أعماق لأعماق البحار عند حواف القارات، وفيها تتجمع كميات هائلة من الرسوبيات التي تتضاغط وتكون رصخورا رسوبية. كما أن قاع المحيط حينما يندفع تحت القارة يبدأ في الانصهار لوصوله الى مستويات ذات حرارة عالية، وبانصهاره يزداد النشاط البركاني وتزداد المتداخلات النارية كما تتضاغط الصخور الرسوبية وتطوي وتتصدع وتتحول، وهنا تتكون سلاسل الجبال، فإذا تكونت تعمل بإندفاعاتها الداخلية كأوتاد هائلة تربط لوح القارة بلوح قاع المحيط، وتتوقف حركتها وقفة كبيرة، ولولا هذه الوقفة ما إستقرت الحياة على سطح القارات على الإطلاق، لأنه لولا إستقرار كتل القارات ما أمكن للتربة ان تتجمع ولالنبتة أن تبرز ولالعشة أن تبني ولالطريق ان يرصف ولذلك يمن علينا ربنا تعالى بإرساء الأرض بالجبال حيث يقول في سورة النازعات: وَالْجِبَالُ

أرْسَاهَا²⁰ ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح في مسند ابن حنبل :
عندما خلق الله الأرض جعلت تميل فأرْسَاهَا بالجبال"²¹.

ليل دائم ونهار دائم:

قال الله تعالى:

"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }"²².

يمن الله على عباده بعظيم خلقه وإعجاز تدبيره بأن جعل الليل والنهار متناوبين فلا ليل دائم ولا نهار دائم، بل دورة يومية وتناوب دائم بين الليل والنهار فما هي العلة في هذا التناوب؟ وهل هذا التشبيه حقيقة أم مجاز؟ أي عندما يذكر الله الليل السرمد والنهار السرمد هل هذا مجاز أم أنه حقيقة قائمة في كواكب أخرى؟²³.

أولاً – العلة في التناوب:

إذا كان حدوث الفصول يكون بسبب دوران الأرض حول الشمس بشكل أهليلجي بحيث أن المسافة بين الأرض والشمس تزيد وتنقص، وهي عندما تزيد تحصل الفصول الباردة وعندما تنقص تحصل الفصول الحارة فإن تناوب الليل والنهار يكون من دوران الأرض حول نفسها ولكن ليس كل دوران للأرض حول نفسها يحقق التناوب بين الليل والنهار وإنما دوران الأرض حول محور من محاورها بحيث لا يكون عمودياً على الشمس، فإذا كان المحور الذي تدور حوله الأرض عمودياً على الشمس يكون فيه نهار دائم ومن الجهة الأخرى ليل دائم، إن ذلك لو حصل لانعدمت الحياة لأن التباين في درجات الحرارة بين الليل والنهار الذي نعرفه الآن سوف يصبح تبايناً هائلاً بحيث تنعدم الحياة على الوجه المقابل للشمس من شدة الحر وعلى الوجه الآخر من شدة البرد.

وإذا كان سكان الوجه المقابل للشمس لا يعرفون الليل والراحة والسكن فإن سكان الوجه الأخر لا يعرفون العمل والسعي والجد فهم في سبات دائم.

ثانياً – حقيقة التشبيه:

هذا التشبيه الليل السرمد والنهار السرمد هو حقيقة موجودة في عدد من الكواكب منها عطارد والزهرة ومنها القمر.

1- عطارد :

أحد وجهيه متجه دائما للشمس ولذلك فنصفه مرتفع الحرارة ولا يصلح للحياة والنصف الآخر منخفض الحرارة ولا يصلح للحياة ويدور حول الشمس كل 88 يوما، أي السنة فيه 88 يوما، ويدور حول نفسه كل 88 يوما ومع ذلك لا يكون ليل ولا نهار لأن محور الدوران عمودي على الشمس.

2- الزهرة :

مع أن مدة دورانه حول الشمس هي 225 يوما ومدة دورانه حول نفسه 225 يوما، فإن نصفه ليل دائم ونصفه نهار دائم، وذلك بسبب محور دورانه العمودي على الشمس والوجه المتجه للشمس درجة الحرارة فيه 90 فوق الصفر والوجه الآخر 20 تحت الصفر.

3- القمر :

مدة دورانه حول الأرض وحول نفسه واحدة وهي 29 يوما و8 ساعات ومع ذلك فنصفه ليل دائم ونصفه نهار دائم²⁴.

ظاهرة السبانك :

قال الله تعالى : " أَتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا { فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا " ²⁵.

زبر الحديد: قطع الحديد.

الصدفين: الجبلين.

قطرا: نحاسا مذابا.

والسبيكة هي خليط من معدنين أو أكثر واجتماع المعادن في السبيكة يعطيها صلابة ومتانة تفوق صلابة ومتانة كل معدن على حدة. هذا المبدأ أشار إليه القرآن الكريم في قصة الرجل الصالح ذي القرنين الذي بني سدا من الحديد والنحاس فأذاب كلاهما وجمعهما معا وبذلك كان السد أشد صلابة مما لو كان بناؤه من أحد المعدنين فقط.

ولقد إكتشف إنسان البرونز منذ خمسة آلاف سنة وهو سبيكة من معدنين، هما النحاس

والقصدير ويمتاز بكونه أكثر صلابة ومتانة مما لو كان من أحد المعدنين النحاس أو القصدير.

وفكرة إضافة النحاس إلى الحديد لإعطائه صلابة أكثر فكرة تستخدم حديثا وهي مما توصل إليه العلم البشري في القرون المعاصرة، وهي الأساس في بناء الأفران العالية²⁶.

يقول صاحب الظلال: وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية الحديد فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف من مقاومته وصلابته. وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين وسجله في كتابه الخالد سبقا للعلم البشري الحديث بقرون لا يعلم عددها إلا الله²⁷.

هذا الذي نتحدث عنه من ظاهرة السبائك له وجود عجيب في جسم الإنسان، فالأسنان والعظام لهما متانة رهيبية، حيث أن الأسنان تبقى في الفم لمدة خمسين عاما تطحن الأطعمة، فهل هناك معدن له نفس المساواة؟ إن الفضل في ذلك يعود إلى هذه السبيكة الرائعة من الكلس والفوسفور والمغنيزيوم والفلور.

والعظام لها نفس متانة الأسنان فعظم الظنوب مثلا يتحمل ضغط 1,5 طنا قبل أن ينكسر والسبب أيضا يعود إلى هذه السبيكة الرائعة من الكلس والفوسفور²⁸.

لأننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن لوجدنا أن هذه الزعة -زعة التفسير العلمي- تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا، لوجدنا أنها كانت في أول الأمر عبارة عن محاولات يقصد منها التوفيق بين القرآن وما وجد من العلوم، ثم وجدت الفكرة مركزة وصرحة على لسان الغزالي، ابن العربي، والمرسي، والسيوطي، لوجدنا أيضا إن هذه الفكرة قد طبقت عمليا، ظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي، ضمن تفسيره للقرآن.

ثم وجدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم، وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر راجا كبيرا بين جماعة من أهل العلم، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة تعالج هذا الموضوع، كما ألقت بعض التفاسير التي تسير على ضوء هذه الفكرة²⁹.

الهوامش

- 1 اختراق العقل الاسلامي، دكتور سعيد اسماعيل، ص 45، عالم الكتب، ط الأولى، 2007م.
- 2 القرآن الكريم رؤية تربوية، الدكتور سعيد اسماعيل علي، ص 444، دارالفكر العربي القاهرة، ط 2010م.
- 3 الاسلام في عصر العلم، أحمد الغمراوي، ص 260، مكتبة السعادة القاهرة، 1973م.
- 4 القرآن: النزاعات 29.
- 5 الاسلام في عصر العلم ص 264.
- 6 الاعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، قايية فوزي جسام، ص 306، مجلة جامعة الأنبار، العدد 1433هـ، 2013م.
- 7 التفكير وتنميته ص 46.
- 8 القرآن: الطور 6.
- 9 أثر الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن الكريم، دصالح بن يحيى صواب، مجلة معهد الامام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس، جمادى الآخرة 1429. ص 24

- 10 القرآن: الذاريات ص 47.
- 11 آيات طبيعية في القرآن، كمال المويل، ص 7، دار الكتب العربية، ط 1995م.
- 12 القرآن: الزلزلة 7.
- 13 القرآن: الحديد 25.
- 14 القرآن: العنكبوت 53.
- 15 الاعجاز العلمي، ص 4.
- 16 القرآن: يونس 61.
- 17 العلم يدعو للإيمان، كريس موريسون، ترجمة محمود صالح الفلكي، ص 122. مكتبة غددير الإسلامية، ط 2007م.
- 18 الاعجاز العلمي، ص 5.
- 19 القرآن: النبأ 7.
- 20 القرآن: النازعات 32.
- 21 الاعجاز العلمي، ص 26.
- 22 القرآن: القصص 17-72.
- 23 آيات طبيعية في القرآن، ص 33.
- 24 قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، الشيخ نديم الجسر، ص 58. المكتب الاسلامي - دار العربية، ط 2، 1969م.
- 25 القرآن: الكهف، 96-97.
- 26 آيات طبيعية، ص 68.
- 27 في ظلال القرآن، سيد قطب، 214/3. دار الشروق بيروت، الطبعة السابعة عشر، 2010م.
- 28 الطب في محراب الإيمان، الدكتور خالص جلبي، ص 54، مكتبة المنار، ط 1971م.
- 29 القرآن رؤية تربوية، ص 448.